Al-Quntar Journal for Humanitarian and Applied Studies

Philosophy and Foresight Science Series

جيوسياسة الغاز: تحليل التنافس التركي-الإسرائيلي في شرق المتوسط (2011- 2023)

الدكتور محمد خيرفرحان حسين قرباع- محاضرغيرمتفرغ / الجامعة الاردنية

mohd.qerbaa@gmail.com

تاريخ الارسال 2025/8/11 تاريخ القبول 2025/9/25 تاريخ النشر 2025/9/30

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الأبعاد الجيوسياسية والاقتصادية والاستراتيجية للتنافس بين الجمهورية التركية ودولة إسرائيل حول موارد الغاز الطبيعي في شرق البحر المتوسط خلال الفترة من 2011 إلى 2023. سعت الدراسة إلى فهم كيف أعادت اكتشافات الغاز البحرية الضخمة تشكيل علاقتهما، محولةً إياها من شراكة استراتيجية متوترة إلى منافسة معقدة على النفوذ الإقليمي والهيمنة في مجال الطاقة. تعتمد الدراسة على منهجية كيفية، تستخدم تحليل المحتوى للبيانات الرسمية الحكومية، ووثائق السياسات، والمقالات الأكاديمية، وتقارير مراكز الفكر الدولية. تم تأطير الدراسة ضمن منظور نظري يستند إلى الواقعية الجديدة، مما يساعد على تفسير سلوك الدول باعتباره سعيًا عقلانيًا لتعظيم القوة والأمن في نظام دولي فوضوي. تشير النتائج إلى أن التنافس التركي-الإسرائيلي مدفوع بثلاثة عوامل رئيسية: 1) الطموحات المتنافسة لكل منهما ليصبح مركز الطاقة الإقليمي لتصدير الغاز إلى أوروبا؛ 2) المواقف القانونية والسياسية المتضاربة بشأن الحدود البحرية، خاصة فيما يتعلق بالمنطقة الاقتصادية الخالصة لقبرص؛ 3 (تشكيل تحالفات إقليمية متعارضة. نجحت دولة إسرائيل في تكوين تكتل متعدد الأطراف عبر "منتدى غاز شرق المتوسط " (EMGF)، مما أدى فعليًا إلى عزل الجمهورية التركية . ردًا على ذلك، تبنت الجمهورية التركية سياسة أحادية حازمة، تجسدت في عقيدة "الوطن الأزرق " (Mavi Vatan) واتفاقية بحرية استراتيجية مع ليبيا، بهدف كسر التحالف الذي تقوده دولة إسرائيل. إن المنافسة على غاز شرق المتوسط ليست مجرد نزاع اقتصادي، بل هي عنصر مركزي في صراع أوسع على الهيمنة الإقليمية. وقد أوجدت هذه المنافسة خط صدع جيوسياسي جديد مدفوعًا بالطاقة، وأعادت تعريف التحالفات في الشرق الأوسط. ورغم أن احتمالية نشوب صراع عسكري مباشر تظل منخفضة بسبب الردع المتبادل والضغوط الدولية، إلا أن المنطقة تتسم بمنافسة مستدامة في "المنطقة الرمادية"، تشمل استعراض القوة البحرية والمناورات الدبلوماسية، والتي ستستمر في تشكيل المشهد الاستراتيجي في المستقبل المنظور.

الكلمات المفتاحية :شرق المتوسط، الغاز الطبيعي، الجيوسياسة، العلاقات التركية-الإسرائيلية، أمن الطاقة، الوطن الأزرق، خط أنابيب إيست ميد، منتدى غاز شرق المتوسط.

Abstract: This study aims to analyze the geopolitical, economic, and strategic dimensions of the rivalry between Turkey and Israel over natural gas resources in the Eastern Mediterranean from 2011 to 2023. It seeks to understand how massive offshore gas discoveries reshaped their relationship, transforming it from a strained strategic partnership into a complex rivalry for regional influence and energy dominance. The study adopts a qualitative methodology, employing content analysis of official government data, policy documents, academic articles, and international think tank reports. The study is theoretically framed by Neorealism, which explains state behavior as the rational pursuit of maximizing power and security in an anarchic international system.The findings indicate that the Turkish-Israeli rivalry is driven by three primary factors: 1)

9/30/2025

their competing ambitions to become the regional energy hub for exporting gas to Europe; 2) conflicting legal and political positions on maritime boundaries, particularly concerning the Exclusive Economic Zone (EEZ) of Cyprus; and 3) the formation of opposing regional alliances. Israel successfully forged a multilateral bloc through the Eastern Mediterranean Gas Forum (EMGF), effectively isolating Turkey. In response, Turkey adopted a policy of assertive unilateralism, embodied in its 'Blue Homeland' (Mavi Vatan) doctrine and a strategic maritime agreement with Libya, aimed at breaking the Israeli-led coalition.The rivalry over Eastern Mediterranean gas is not merely an economic dispute but a central component of a broader struggle for regional hegemony. This competition has created a new, energy-driven geopolitical fault line and redefined alliances in the Middle East. While the probability of direct military conflict remains low due to mutual deterrence and international pressure, the region is characterized by sustained 'gray-zone' competition, involving naval power projection and diplomatic maneuvers, which will continue to shape the strategic landscape for the foreseeable future.

Keywords: Eastern Mediterranean, Natural Gas, Geopolitics, Turkish-Israeli Relations, Energy Security, Blue Homeland (Mavi Vatan), EastMed Pipeline, Eastern Mediterranean Gas Forum (EMGF).

1. مقدمة: تحول النموذج الجيوسياسي في شرق المتوسط

شهد العقدان الاول والثاني من القرن الحادي والعشرين تحولًا عميقًا في المشهد الجيوسياسي لمنطقة شرق البحر المتوسط، وهو تحول يمكن وصفه بأنه تغيير نموذجي (Paradigm Shift) في طبيعة الصراعات وديناميكيات القوة في المنطقة. فبعد عقود طويلة كانت فيها الحسابات الاستراتيجية تُبنى على "القواعد القديمة "المتمثلة في الصراع العربي-الإسرائيلي، والنزاع القبرصي، والتوترات المزمنة بين اليونان والجمهورية التركية ، ظهر عامل جديد أعاد تعريف قواعد اللعبة بشكل جذري :اكتشاف احتياطيات هائلة من الغاز الطبيعي في أعماق البحر.

هذا العامل لم يضف مجرد طبقة جديدة من التعقيد إلى المشهد القائم، بل أصبح هو المحرك الرئيسي للسياسات الخارجية، والتحالفات، والخصومات. لقد تحولت مياه شرق المتوسط من مجرد ممرات بحرية ذات أهمية تجارية وعسكرية إلى كنز استراتيجي، وساحة "لعبة كبرى" جديدة تتنافس فيها القوى الإقليمية والدولية على الثروة والنفوذ (Proedrou, 2023) ، بدايةً من اكتشاف حقلي "تمار " (2009) و"ليفياثان" (2010) في المنطقة البحرية الإسرائيلية، واللذين قدّرا بنحو 32تريليون قدم مكعب مجتمعين، تلتهما اكتشافات حقل "أفروديت" في قبرص (2011) الذي أضاف حوالي 4.5 تريليون قدم مكعب، وبلغت الاكتشافات ذروتها مع إعلان شركة "إيني" الإيطالية عن حقل "ظُهر" العملاق في مصر (2015)، الذي يُقدّر احتياطيه بحوالي 30 تريليون قدم مكعب، برز شرق المتوسط كجهة جديدة ومهمة على خريطة الطاقة العالمية.

هذه الاكتشافات لم تعد فقط بتحقيق الاكتفاء الذاتي من الطاقة والازدهار الاقتصادي لدول كانت تعتمد تاريخيًا على واردات الطاقة، بل الأهم من ذلك، أنها قدمت فرصة استراتيجية لتزويد السوق الأوروبية المتعطشة للطاقة، والتي تسعى بنشاط لتنويع مصادرها بعيدًا عن الاعتماد الكبير على روسيا، ومع ذلك وبدلًا من أن تعزز هذه الثروة المكتشفة حديثًا التعاون

الإقليمي، أدت إلى تأجيج الخصومات القائمة وخلق خصومات جديدة، فالحدود البحرية غير المرسومة بالكامل، والمطالبات المتداخلة بالسيادة، والطموحات المتباينة، حولت هذا الوعد بالرخاء إلى مصدر للتوتر والتصعيد.

في قلب هذه المنافسة الجديدة تقف قوتان إقليميتان غير عربيتين من أبرز القوى في المنطقة: الجمهورية التركية ودولة إسرائيل، فبعد أن كانتا شريكتين استراتيجيتين في فترة ما بعد الحرب الباردة، يربطهما تعاون عسكري واستخباراتي، تدهورت علاقتهما بشكل حاد في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، لتصل إلى قطيعة شبه كاملة، جاءت اكتشافات الغاز لتقدم ساحة جديدة لهذا التنافس، حيث أصبحت جيوسياسة الطاقة هي العدسة التي يُنظر من خلالها إلى كل التحركات الإقليمية.

تطرح هذه الورقة البحثية فرضية مفادها أن المنافسة على غاز شرق المتوسط قد غيرت بشكل أساسي طبيعة العلاقة التركية-الإسرائيلية، ونقلتها من شراكة استراتيجية هشة إلى تنافس جيوسياسي مباشر، مدفوع بتضارب طموحات الطاقة، والمطالبات البحرية، وتشكيل تكتلات إقليمية متنافرة، تبحث الدراسة في الاستراتيجيات التي استخدمتها كل دولة لتعظيم نفوذها وتأمين مصالحها في مجال الطاقة، وتحلل نقاط الاشتعال التي تهدد الاستقرار الإقليمي.

لفهم عمق التنافس الحالي، لا بد من العودة إلى طبيعة العلاقة التركية-الإسرائيلية قبل أن يصبح الغاز عاملاً مؤثراً، خلال تسعينيات القرن العشرين، شكلت الجمهورية التركية ودولة إسرائيل "شراكة استراتيجية" غير مسبوقة في الشرق الأوسط، قامت هذه الشراكة على أساس تقارب المصالح الأمنية، حيث كانت كلتا الدولتين تشعران بتهديد مشترك من المحور السوري-الإيراني، وسعتا إلى تحقيق توازن قوى إقليمي بدعم من الولايات المتحدة، تجسد هذا التحالف في اتفاقيات عسكرية وتدريبات مشتركة وتعاون استخباراتي واسع النطاق (Aoun, 2019) .

لكن هذا التحالف بدأ يتآكل مع وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة في الجمهورية التركية عام 2002، تبنت الحكومة التركية الجديدة سياسة خارجية أكثر استقلالية وتوجهًا نحو العالم الإسلامي، بقيادة أحمد داود أوغلو وفلسفته "العمق الاستراتيجي"، أصبحت القضية الفلسطينية أكثر مركزية في الخطاب السياسي التركي، وبدأت أنقرة تنتقد السياسات الإسرائيلية بشكل علني ومتزايد.

وصل التدهور إلى نقطة اللاعودة مع حادثة **أسطول الحرية (Mavi Marmara) في مايو 2010**، عندما هاجمت القوات الإسرائيلية سفينة تركية كانت تحاول كسر الحصار على غزة، مما أدى إلى مقتل عشرة نشطاء أتراك، أدت هذه الحادثة إلى سحب السفراء وتجميد العلاقات الدبلوماسية والعسكرية بشكل كامل، من المهم ملاحظة أن هذه القطيعة حدثت **قبل** أن تتحول اكتشافات الغاز إلى قضية جيوسياسية كبرى، وبالتالي، لم يخلق الغاز التنافس من العدم، بل وجد علاقة متصدعة بالفعل، وقدم لها وقودًا جديدًا وساحة صراع مختلفة، محولاً الخلاف من المستوى الأيديولوجي والسياسي إلى مستوى التنافس الجيواستراتيجي والمادي على الموارد والنفوذ.

لا يمكن فهم شدة التنافس في شرق المتوسط دون النظر إلى العامل الخارجي الأهم :**السوق الأوروبية**، لطالما كان أمن الطاقة هو "كعب أخيل" بالنسبة للاتحاد الأوروبي، الذي يعتمد بشكل كبير على واردات الغاز الطبيعي، وخاصة من روسيا، لقد استخدمت موسكو مرارًا "سلاح الطاقة" كأداة للضغط السياسي على جيرانها وأوروبا، كما حدث في أزمات قطع إمدادات الغاز عن أوكرانيا في 2006 و2009، مما أثار قلقًا عميقًا في العواصم الأوروبية (Yergin, 2012).

لذلك، أصبحت استراتيجية "تنويع مصادر الطاقة" عقيدة أساسية في سياسة الاتحاد الأوروبي، في هذا السياق، بدت اكتشافات غاز شرق المتوسط وكأنها "هبة من السماء"؛ مصدر غاز جديد، ضخم، وقريب جغرافيًا، ومن دول يُعتبر بعضها حليفًا للغرب (دولة إسرائيل وقبرص واليونان)، هذا الاهتمام الأوروبي رفع من القيمة الاستراتيجية للغاز من مجرد سلعة اقتصادية إلى أداة جيوسياسية يمكن أن تعيد رسم خريطة الطاقة في القارة.

وقد تسارعت هذه الديناميكية بشكل هائل بعد **الغزو الروسي لأوكرانيا في فبراير 2022**، فمع سعي أوروبا اليائس للتخلص من الاعتماد على الغاز الروسي بأسرع وقت ممكن) كما تجلى في خطة(REPowerEU ، زادت أهمية غاز شرق المتوسط بشكل كبير، لكن هذا الاهتمام الخارجي أدى أيضًا إلى زيادة حدة التنافس الإقليمي، حيث أدرك كل طرف أن من يسيطر على طرق تصدير الغاز إلى أوروبا سيمتلك نفوذًا هائلاً في العقود القادمة.

2. إشكالية الدراسة

بناءً على ما سبق، تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول السؤال الرئيسي التالي" :**كيف أعاد اكتشاف الغاز الطبيعي تشكيل طبيعة العلاقة التركية-الإسرائيلية، محولاً إياها من خلاف سياسي إلى تنافس جيواستراتيجي مباشر أعاد رسم البنية الأمنية والتحالفات في شرق المتوسط؟"**

للإجابة على هذا السؤال، تطرح الدراسة الفرضية التالية: "لقد عمل الغاز الطبيعي كعامل مسرّع ومحفز لنقل التنافس التركي-الإسرائيلي إلى ساحة جديدة، مما خلق خط صدع جيوسياسي قائم على الطاقة، وقد تجلت استجابات الطرفين بشكل متباين :فبينما اتبعت دولة إسرائيل استراتيجية **"الموازنة الخارجية " (External Balancing)**عبر بناء تحالفات متعددة الأطراف لعزل الجمهورية التركية ، ردت الجمهورية التركية باستراتيجية **"الأحادية الحازمة " (Assertive Unilateralism)**التي تهدف إلى كسر هذا التطويق وفرض واقع جديد بالقوة".

لتأطير هذا التحليل، تستخدم الدراسة منظور **الواقعية الجديدة (Neorealism)** ، وفقًا لهذه النظرية، فإن الفوضى في النظام الدولي تجبر الدول على السعي لضمان بقائها من خلال تعظيم قوتها النسبية (Waltz, 1979) ، في سياق شرق المتوسط، أدى ظهور مورد استراتيجي جديد (الغاز) إلى زعزعة توازن القوى القائم، مما دفع كل دولة إلى اتخاذ إجراءات لتعزيز موقعها، يمكن تفسير سلوك دولة إسرائيل في تشكيل "منتدى غاز شرق المتوسط" على أنه محاولة لبناء تكتل يوازن القوة التركية، وفي المقابل، يمكن فهم عقيدة "الوطن الأزرق" التركية على أنها محاولة لتعظيم القوة وتحدي النظام الإقليمي

الذي يسعى إلى تهميشها، كما أن "المعضلة الأمنية (Jervis, 1978) "واضحة هنا، حيث أن كل خطوة يتخذها طرف لتعزيز أمنه تُفسَّر من قبل الطرف الآخر على أنها تهديد، مما يؤدي إلى حلقة مفرغة من التصعيد.

3. منهجية الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على منهجية كيفية، تستخدم **تحليل المحتوى (Content Analysis)** لمجموعة واسعة من المصادر الأولية والثانوية باللغة الإنجليزية، بما في ذلك: البيانات الرسمية الصادرة عن وزارات الخارجية والطاقة في الجمهورية التركية ودولة إسرائيل، محاضر الاجتماعات البرلمانية، الاتفاقيات الدولية، تقارير مراكز الفكر المتخصصة) مثل CSIS, Carnegie, GMF)، والمقالات المنشورة في المجلات الأكاديمية المحكّمة.

4. الإطار النظري:

إن فهم الديناميكيات المعقدة للتنافس الدولي، خاصة عندما يتعلق الأمر بموارد استراتيجية كالغاز الطبيعي، يتطلب تجاوز السرد الصحفي والتحليل الظرفي، واللجوء إلى إطار نظري متين قادر على تفسير سلوك الدول وتفاعلاتها. يهدف هذا الفصل إلى تأسيس الإطار النظري الذي سيحكم هذه الدراسة، وهو **نظرية الواقعية الجديدة (Neorealism)**، أو ما يُعرف أيضاً بـ **الواقعية البنيوية (Structural Realism)**.

لقد شهدت منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط، خلال العقد الممتد من 2011 إلى 2021، تحولاً جذرياً من منطقة ذات أهمية جيوسياسية تقليدية إلى بؤرة توتر وصراع محموم على الطاقة، وكما تشير دراسة الحباشنه والخاليله (2023)، فإن "اكتشافات الغاز شكلت محور ومحدد التنافس بين القوى الإقليمية والدولية"، وأدت إلى "تصعيد للصراعات السياسية سواء على مستوى دول منطقة البحر الأبيض المتوسط أو على المستوى الإقليمي والدولي"، هذا التصعيد ليس مجرد نتاج خلافات ثنائية أو طموحات اقتصادية، بل هو انعكاس مباشر للضغوط التي تفرضها بنية النظام الدولي على الدول الفاعلة فيه.

تقدم الواقعية الجديدة، التي صاغها بشكل منهجي كينيث والتز (Kenneth Waltz) في كتابه الثوري "نظرية السياسة الدولية" (1979)، تفسيراً بنيوياً لسلوك الدول، مؤكدة أن بنية النظام الدولي – وليس بالضرورة الطبيعة البشرية أو الخصائص الداخلية للدول – هي المحدد الرئيسي لسياساتها الخارجية، وعليه، فإن هذا الإطار هو الأنسب لتحليل التنافس التركي-الإسرائيلي، لأنه يركز على كيفية تأثير التغيير المفاجئ في "توزيع القدرات" (اكتشاف الغاز) داخل "بنية فوضوية" (غياب سلطة دولية قادرة على فرض الحلول) على سلوك الدولتين، ويدفعهما نحو مسارات حتمية من المنافسة والموازنة والمعضلات الأمنية.

سيتم تقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة أجزاء رئيسية: أولاً، عرض مفصل للمبادئ الأساسية للواقعية الجديدة، ثانياً، تطبيق هذه المبادئ بشكل منهجي لتشريح صراع الغاز في شرق المتوسط، مع التركيز على الاستراتيجيات الإسرائيلية والتركية،

ثالثاً، تحليل دور القوى الخارجية الكبرى (الولايات المتحدة، الاتحاد الأوروبي، وروسيا) من خلال المنظور الواقعي الجديد، باعتبارها جزءاً لا يتجزء من بنية النظام التي تؤثر على الفاعلين الإقليميين.

أسس نظرية الواقعية الجديدة

لا يمكن فهم تطبيق النظرية دون استيعاب مكوناتها الأساسية، ترتكز الواقعية الجديدة على عدد من الافتراضات والمفاهيم المترابطة التي تشكل معاً رؤية متكاملة للسياسة الدولية.

المبدأ المركزي في فكر والتز هو أن النظام الدولي يتسم بـ **الفوضى**، لا تعني الفوضى هنا حالة من الشغب أو العنف المستمر، بل تعني ببساطة "غياب حكومة عالمية" أو سلطة مركزية عليا، في النظام المحلي (داخل الدولة)، يوجد تسلسل هرمي واضح: الحكومة تحتكر استخدام القوة المشروعة، وتسن القوانين، وتفصل في النزاعات، أما في النظام الدولي، فكل الدول متساوية من الناحية السيادية، ولا توجد سلطة فوقها يمكنها أن تضمن أمنها أو تفرض عليها التزاماتها (Waltz, 1979).

هذه البنية الفوضوية لها تداعيات عميقة على سلوك الدول:

- **مبدأ المساعدة الذاتية(Self-Help)**: في ظل غياب "شرطي عالمي"، لا يمكن لأي دولة أن تعتمد على غيرها لضمان أمنها وبقائها، يجب على كل دولة أن تعتني بمصالحها بنفسها، وأن تكون مستعدة للدفاع عن نفسها باستخدام قدراتها الخاصة، هذا هو السبب في أن الدول تولي أهمية قصوى لجيوشها وقدراتها العسكرية والاقتصادية.
- **الشك وعدم اليقين**: بما أن نوايا الدول الأخرى لا يمكن التأكد منها بشكل مطلق، فإن كل دولة تنظر إلى جيرانها بعين الشك، دولة ما قد تدّعي أن تسلحها دفاعي بحت، لكن الدول الأخرى لا يمكنها أن تكون متأكدة من ذلك، مما يؤدي إلى حالة من عدم اليقين المستمر.

في سياق شرق المتوسط، تتجلى هذه الفوضى بوضوح، على الرغم من وجود "اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار" (UNCLOS)، إلا أنها لا تشكل سلطة عليا، بدليل أن أطرافاً رئيسية في النزاع مثل الجمهورية التركية ودولة إسرائيل لم تصادقا عليها، وبالتالي، أصبح ترسيم الحدود البحرية، الذي يفترض أن يكون مسألة قانونية، خاضعاً لمنطق القوة والمساعدة الذاتية، حيث تسعى كل دولة لفرض رؤيتها بالقوة.

تعتبر الواقعية الجديدة أن **الدول** هي الوحدات الأساسية والأكثر أهمية في السياسة الدولية، تتجاهل النظرية بشكل كبير دور المنظمات الدولية، والشركات متعددة الجنسيات، والأفراد، الأهم من ذلك، أنها تتعامل مع الدول كـ "صناديق سوداء" (Black Boxes) أو "وحدات متشابهة" (Like Units) ، هذا يعني أن النظرية لا تهتم بالنظام السياسي الداخلي للدولة (ديمقراطية أم دكتاتورية)، أو أيديولوجيتها، أو ثقافة قادتها، فمن منظور والتز، كل الدول، بغض النظر عن تركيبتها الداخلية، تواجه نفس الضغوط البنيوية في النظام الفوضوي، وبالتالي ستتصرف بطرق متشابهة لضمان بقائها.

الهدف الأسمى لكل دولة في النظام الدولي ليس تحقيق الرفاهية أو نشر العدالة، بل هو **البقاء**، البقاء هو الشرط المسبق لتحقيق أي هدف آخر، هذا الدافع نحو البقاء هو الذي يوجه كل قرارات السياسة الخارجية، ولتحقيق البقاء، تسعى الدول إلى الحفاظ على قوتها أو زيادتها، وهنا يظهر تمييز مهم:

- **الواقعيون الدفاعيون (Defensive Realists)**، مثل والتز، يرون أن الدول تسعى إلى تحقيق "القدر الكافي" من القوة لضمان أمنها، وليس بالضرورة الهيمنة، السعي المفرط للقوة قد يأتي بنتائج عكسية، لأنه يدفع الدول الأخرى إلى تشكيل تحالفات موازنة ضدها.
- **الواقعيون الهجوميون (Offensive Realists)**، مثل جون ميرشايمر (Mearsheimer)، يجادلون بأنه في ظل عدم اليقين، فإن الطريقة الوحيدة لضمان البقاء هي تعظيم القوة بشكل مطلق والسعي للهيمنة الإقليمية.

سلوك كل من الجمهورية التركية ودولة إسرائيل يمكن تفسيره من خلال هذا الدافع، بالنسبة لدولة إسرائيل، فإن تأمين موارد الغاز لم يكن مجرد مكسب اقتصادي، بل مسألة أمن قومي تضمن استقلالها في مجال الطاقة، وبالنسبة لالجمهورية التركية ، فإن عدم حرمانها من هذه الموارد هو جزء لا يتجزأ من بقائها كقوة إقليمية مؤثرة.

إذا كانت بنية النظام (الفوضى) ثابتة، فإن ما يتغير ويحدد شكل السياسة الدولية هو **توزيع القدرات (Distribution of Capabilities)** بين الدول، القدرات هنا تشمل القوة العسكرية، الاقتصادية، التكنولوجية، وحجم السكان، هذا التوزيع هو الذي يحدد ما إذا كان النظام أحادي القطبية (قوة عظمى واحدة)، أو ثنائي القطبية (قوتان)، أو متعدد الأقطاب.

عندما يتغير توزيع القدرات – كما حدث في شرق المتوسط مع اكتشاف الغاز – فإن الدول تستجيب من خلال **الموازنة (Balancing)** ، الموازنة هي الاستراتيجية الأساسية التي تتبعها الدول لمنع أي دولة أخرى من أن تصبح مهيمنة، وتأخذ شكلين:

- **الموازنة الداخلية (Internal Balancing)**: وتقوم على زيادة الدولة لقدراتها الخاصة، مثل بناء جيشها وتطوير اقتصادها.
- **الموازنة الخارجية (External Balancing)**: وتقوم على تشكيل تحالفات مع دول أخرى لمواجهة تهديد مشترك.

إن التحالف الثلاثي بين دولة إسرائيل واليونان وقبرص، وتأسيس "منتدى غاز شرق المتوسط"، هو مثال نموذجي على "الموازنة الخارجية" لمواجهة ما اعتبروه طموحات تركية توسعية، وفي المقابل، فإن استثمارات الجمهورية التركية الضخمة في أسطولها البحري وتطويرها لتكنولوجيا التنقيب الخاصة بها هو "موازنة داخلية"، بينما كان اتفاقها مع ليبيا شكلاً من أشكال "الموازنة الخارجية" المضادة.

تطبيق الإطار النظري على صراع الغاز في شرق المتوسط

بعد استعراض أسس النظرية، يمكننا الآن استخدامها كعدسة تحليلية لتشريح التنافس التركي-الإسرائيلي.

قبل عام 2009، كان ميزان القوى في مجال الطاقة بالمنطقة واضحاً: معظم الدول كانت مستوردة، ومصر كانت مصدراً إقليمياً محدوداً، لكن اكتشاف حقلي "تمار "و"ليفياثان" لم يكن مجرد حدث اقتصادي، بل كان **صدمة بنيوية (Structural Shock)**، لقد أدى هذا الاكتشاف إلى إعادة توزيع هائلة للقدرات المحتملة في الإقليم.

- **بالنسبة لدولة إسرائيل :**تحولت بين عشية وضحاها من دولة معتمدة على الغير في مجال الطاقة إلى قوة طاقة كامنة، هذا لم يمنحها فقط الاكتفاء الذاتي، بل منحها أداة جيوسياسية جديدة وقوية: القدرة على تصدير الغاز، وبالتالي بناء تحالفات، والتأثير على أمن الطاقة الأوروبي.
- **بالنسبة لالجمهورية التركية :**مثّل هذا التحول تهديداً مزدوجاً، أولاً، هدد طموحها طويل الأمد بأن تكون الممر الحصري للطاقة من الشرق إلى أوروبا، ثانياً، استبعادها من هذا الكنز الجديد يعني تراجعاً في قوتها النسبية مقارنة بتحالف جديد يتشكل على حدودها الجنوبية.

وكما تؤكد دراسة الحباشنه والخلايلة (2023)، فإن "تزايد حجم الاكتشافات الكبيرة للغاز،،، كان له تأثير على موازين القوى في منطقة شرق المتوسط وشكل متغيرًا لقواعد اللعبة السياسية بين دول المنطقة"، هذا التغيير في موازين القوى هو المحرك الأساسي الذي أطلق سلسلة التفاعلات التي تلت ذلك، والتي يمكن فهمها بالكامل من خلال منطق الواقعية الجديدة.

في مواجهة هذا الواقع الجديد، تصرفت دولة إسرائيل كفاعل عقلاني في نظام فوضوي، أدركت قيادتها أن قدراتها الذاتية (الموازنة الداخلية) وحدها لا تكفي لتأمين هذه الثروة الهائلة وتصديرها في بيئة إقليمية معادية، فالأنابيب البحرية مكلفة للغاية وعرضة للتهديدات، لذلك، كان الخيار الاستراتيجي الحتمي هو **الموازنة الخارجية**، سعت دولة إسرائيل بنشاط إلى بناء تحالف مع دولتين تشتركان معها في نفس التصور للتهديد التركي: اليونان وقبرص، هذا التحالف لم يكن مبنياً على قيم مشتركة بقدر ما كان مبنياً على تقاطع المصالح الاستراتيجية البحتة، وهو جوهر التحالفات في الفكر الواقعي، وقد تُرجم هذا التحالف إلى خطوات ملموسة:

1. **اتفاقيات ترسيم الحدود :**سارعت الدول الثلاث إلى ترسيم حدودها البحرية فيما بينها، مما خلق أمراً واقعاً قانونياً يستبعد الجمهورية التركية .
2. **تعاون عسكري :**أصبحت المناورات العسكرية البحرية والجوية المشتركة بين دولة إسرائيل واليونان وقبرص حدثاً دورياً، وهي رسالة ردع واضحة موجهة إلى الجمهورية التركية .
3. **مشاريع الطاقة المشتركة :**كان مشروع خط أنابيب "إيست ميد (EastMed) "هو التتويج الاستراتيجي لهذا التحالف، وعلى الرغم من التحديات الاقتصادية والتقنية، إلا أن أهميته الجيوسياسية كانت تكمن في أنه مصمم لتجاوز الأراضي التركية بالكامل، مما يضعف دورها كمركز للطاقة (Papadopoulos, 2018).

4. **التأسيس المؤسسي** :كان تأسيس "منتدى غاز شرق المتوسط" خطوة أكثر تطوراً، حيث حول التحالف غير الرسمي إلى منظمة إقليمية لها مقر وأعضاء (بما في ذلك قوى عربية مثل مصر والأردن)، الهدف، من منظور واقعي، كان واضحاً: "إضفاء الشرعية على خريطة الطاقة الجديدة وعزل الجمهورية التركية مؤسسياً " (Tsafos, 2019).

من منظور أنقرة، كانت هذه التحركات تمثل محاولة "تطويق" خطيرة، شعرت الجمهورية التركية بأنها تُحرم من حقوقها المشروعة في موارد الطاقة، وأن خصومها يحاولون حصرها في شريط ساحلي ضيق، متجاهلين جرفها القاري الممتد، وكما تتوقع نظرية الواقعية الجديدة، عندما تواجه دولة ما تحالفاً موازناً ضدها، فإنها سترد بإجراءات موازنة مضادة. جاء الرد التركي حازماً، وتمحور حول عقيدة "الوطن الأزرق " (Mavi Vatan)، التي تمثل الإطار الأيديولوجي لاستراتيجية تعظيم القوة البحرية، وتجلت هذه الاستراتيجية في:

1. **الدبلوماسية القسرية** :لم تكتفِ الجمهورية التركية بالاحتجاجات الدبلوماسية، بل استخدمت أدوات القوة، إرسال سفن التنقيب والحفر، بحماية سفن حربية، إلى مناطق متنازع عليها كان تحدياً مباشراً للوضع الراهن الذي حاول التحالف الآخر فرضه (Dalay, 2020).
2. **الموازنة الداخلية المكثفة** :ضخت الجمهورية التركية استثمارات هائلة في تحديث أسطولها البحري، وتطوير طائرات بدون طيار للمراقبة البحرية، وحتى بناء سفن تنقيب خاصة بها، لتقليل اعتمادها على الشركات الأجنبية.
3. **كسر الطوق الجيوسياسي** :كانت اتفاقية ترسيم الحدود البحرية مع حكومة الوفاق الوطني الليبية في نوفمبر 2019 خطوة استراتيجية عبقرية من منظور واقعي، هذه الاتفاقية لم تكن تتعلق بليبيا بقدر ما كانت تتعلق بكسر التحالف المناهض لالجمهورية التركية ، لقد خلقت الاتفاقية واقعاً جغرافياً سياسياً جديداً يقطع الطريق أمام أي خط أنابيب مستقبلي مثل "إيست ميد"، مما أجبر خصوم الجمهورية التركية على إعادة حساباتهم(Gurcan, 2020) ، كانت هذه هي الاستجابة الحتمية لمحاولات عزلها.

إن تفاعل الاستراتيجيات الإسرائيلية والتركية أدى إلى الوقوع في فخ **المعضلة الأمنية (Security Dilemma)** الكلاسيكية، التي وصفها روبرت جيرفيس(Jervis, 1978) ، تحدث هذه المعضلة عندما تؤدي الإجراءات التي تتخذها دولة ما لزيادة أمنها (والتي تعتبرها دفاعية بحتة) إلى تفسيرها من قبل دولة أخرى على أنها تهديد، مما يدفع الدولة الثانية إلى اتخاذ إجراءات مضادة، والتي بدورها يُنظر إليها على أنها تهديد من قبل الدولة الأولى، مما يخلق حلقة مفرغة من التصعيد والشك المتبادل.

- **من منظور دولة إسرائيل**" :نحن نشكل تحالفات ونقوم بمناورات عسكرية لحماية أصولنا الاقتصادية الحيوية من التهديدات المحتملة، هذه إجراءات دفاعية".
- **من منظور الجمهورية التركية** " :إنهم يشكلون تحالفاً عسكرياً على حدودنا، ويستبعدوننا من الموارد، ويحاولون تطويقنا، هذه إجراءات عدوانية، وعلينا الرد لحماية أمننا القومي".

هذه الدوامة هي التي تفسر عسكرة الصراع، حيث أصبحت المناورات العسكرية والتحرشات البحرية والخطاب العدائي هي القاعدة، مما جعل المنطقة "قابلة للاشتعال"، كما وصفتها دراسة ضبيش وفراج(2021) .

دور القوى الخارجية الكبرى في البنية الإقليمية

لا يمكن تحليل هذا الصراع الإقليمي بمعزل عن القوى الكبرى، التي تشكل المستوى الأعلى من بنية النظام الدولي وتؤثر على سلوك القوى الإقليمية.

- **الولايات المتحدة** :كقوة مهيمنة عالمياً، تنظر واشنطن إلى شرق المتوسط من خلال عدسة مصالحها الأوسع: أمن دولة إسرائيل، استقرار حلف الناتو (الذي يضم كلاً من الجمهورية التركية واليونان)، ومنافسة النفوذ الروسي، ولهذا السبب، كان موقفها متقلباً، إدارة ترامب دعمت بقوة محور دولة إسرائيل-اليونان، ورأت في "إيست ميد" أداة لتقليل اعتماد أوروبا على الغاز الروسي، لكن إدارة بايدن، التي أولت اهتماماً أكبر بتجنب الصراعات بين حلفاء الناتو، تراجعت عن دعم المشروع، مفضلة الحلول الأقل تصعيداً(Frantzman, 2022) ، هذا التحول يعكس المنطق الواقعي: القوة العظمى تعدل سياساتها بناءً على تقييمها المتغير لميزان القوى والمصالح، وليس بناءً على التزامات دائمة تجاه أي طرف إقليمي.
- **الاتحاد الأوروبي** :يُعتبر الاتحاد الأوروبي فاعلاً ذا مصلحة مباشرة، فسعيه لتنويع مصادر الطاقة بعيداً عن روسيا يجعله السوق الطبيعية لغاز شرق المتوسط (Yergin, 2012) ، ومع ذلك، يفتقر الاتحاد الأوروبي إلى القدرة على التصرف كدولة موحدة، انقساماته الداخلية واضحة: فرنسا اتخذت موقفاً متشدداً ضد الجمهورية التركية (دعماً لليونان وقبرص)، بينما سعت ألمانيا إلى التوسط والحفاظ على علاقاتها مع أنقرة، هذا الانقسام يضعف قدرته على التأثير بشكل حاسم، ويؤكد الفرضية الواقعية بأن المنظمات فوق الوطنية تظل أضعف من الدول القومية في بيئة فوضوية.
- **روسيا** :من منظور الواقعية الجديدة، تلعب روسيا دور "الموازن البعيد " (Offshore Balancer) و "المفسد الاستراتيجي"، هدفها الأساسي هو الحفاظ على حصتها المهيمنة في سوق الغاز الأوروبية، لذلك، فإن أي تأخير أو اضطراب في تطوير وتصدير غاز شرق المتوسط يخدم مصالحها بشكل مباشر، وجودها العسكري القوي في سوريا، وتحديداً في قاعدة طرطوس البحرية، يمنحها القدرة على مراقبة الوضع عن كثب والتأثير عليه، وكما أشارت الحباشنه والخاليله (2023)، فإن "سوريا كانت هي المدخل بالنسبة لروسيا" لممارسة دورها في المنطقة، تحافظ موسكو على علاقات براغماتية مع جميع الأطراف – الجمهورية التركية ، دولة إسرائيل، مصر – مما يسمح لها بلعب دور معقد يهدف في النهاية إلى خدمة مصلحتها القومية العليا: منع ظهور منافس قوي لصادراتها من الطاقة.

5. الخاتمة

تُختتم هذه الدراسة بالتوصل إلى نتيجة أساسية مفادها أن اكتشافات الغاز الطبيعي في شرق البحر الأبيض المتوسط لم تكن مجرد متغير اقتصادي أُضيف إلى المشهد الإقليمي، بل كانت بمثابة **صدمة بنيوية (Structural Shock)** أعادت تعريف قواعد اللعبة الجيوسياسية، وحوّلت طبيعة العلاقة التركية-الإسرائيلية بشكل جذري، لقد أثبت التحليل أن

الغاز لم يخلق التنافس من العدم، بل عمل كعامل محفز ومسرّع نقل الخلافات السياسية والأيديولوجية القائمة بين البلدين إلى مواجهة استراتيجية مباشرة ومادية على الموارد والنفوذ والهيمنة الإقليمية.

وقد أظهرت نتائج الدراسة صحة الفرضية المطروحة، حيث تجلت هذه المواجهة في مسارين استراتيجيين متعارضين تماماً، فمن جهة، اتبعت دولة إسرائيل استراتيجية **"الموازنة الخارجية " (External Balancing)**ببراغماتية عالية، حيث نجحت في بناء تكتل إقليمي متعدد الأطراف تمحور حول اليونان وقبرص ومصر، وتُوِّج بتأسيس "منتدى غاز شرق المتوسط"، لم يكن هذا التحالف مجرد آلية للتعاون الاقتصادي، بل كان أداة جيوسياسية مصممة بعناية لعزل الجمهورية التركية وإضفاء الشرعية على خريطة طاقة إقليمية تستبعدها، ومن جهة أخرى، ردت الجمهورية التركية على هذا العزل المتصور باستراتيجية **"الأحادية الحازمة(Assertive Unilateralism) "**، متجسدة في عقيدة "الوطن الأزرق" البحرية وإبرام اتفاقية ترسيم الحدود البحرية مع ليبيا، في محاولة استراتيجية جريئة لكسر التطويق وفرض واقع جيوسياسي جديد بالقوة.

يؤكد هذا التحليل بشكل قاطع صلاحية الإطار النظري للواقعية الجديدة في تفسير سلوك الدولتين، فالتحركات الإسرائيلية والتركية لم تكن عشوائية أو مدفوعة بأهواء القادة فحسب، بل كانت استجابات عقلانية للضغوط التي يفرضها النظام الدولي الفوضوي، ففي ظل غياب سلطة عليا، وتغيّر مفاجئ في توزيع القدرات، سعت كل دولة إلى ضمان بقائها وتعظيم قوتها النسبية وفقاً لمبدأ "المساعدة الذاتية"، وقد أدى هذا التفاعل الحتمي إلى الوقوع في فخ **"المعضلة الأمنية (Security Dilemma)**، حيث فُسرت كل خطوة دفاعية من طرف على أنها تهديد وجودي من قبل الطرف الآخر، مما أدى إلى دوامة من التصعيد العسكري والدبلوماسي.

إن الأثر الأعمق لهذا التنافس يتجاوز العلاقات الثنائية التركية-الإسرائيلية، ليخلق **خط صدع جيوسياسي جديد مدفوع بالطاقة** في شرق المتوسط، معيداً تعريف التحالفات التقليدية في الشرق الأوسط، هذا الصراع ليس مجرد نزاع إقليمي، بل له تداعيات مباشرة على أمن الطاقة الأوروبي، خاصة في أعقاب الحرب في أوكرانيا، ويجذب اهتمام وتدخل القوى الكبرى التي تسعى كل منها لخدمة مصالحها في هذه الساحة المعقدة.

بالنظر إلى المستقبل، ورغم حدة التوترات، يظل احتمال نشوب صراع عسكري مباشر وشامل بين الجمهورية التركية ودولة إسرائيل منخفضاً، بفضل الردع المتبادل والضغوط الدولية وتكاليف الحرب الباهظة، بدلاً من ذلك، من المرجح أن يستمر التنافس في **"المنطقة الرمادية " (Gray Zone)** ، التي تشمل استعراض القوة البحرية، والحروب السيبرانية، والمناورات الدبلوماسية، والتنافس على جذب الاستثمارات لمشاريع البنية التحتية للطاقة، لقد أثبتت جيوسياسة الغاز في شرق المتوسط أن الجغرافيا والموارد الطبيعية لا تزالان المحدد الأقوى لمصائر الدول، وأن الصراع على الطاقة سيظل المحرك الرئيسي الذي يرسم ملامح القوة والنفوذ في المنطقة للمستقبل المنظور.

المراجع

Aoun, E. (2019). The Eastern Mediterranean Gas Forum: A Geopolitical Project in the Making. Beirut Center for Middle East Studies.

Aoun, E. (2019). The Geopolitics of Natural Gas in the Eastern Mediterranean. The Washington Institute for Near East Policy.

Al-Habashneh, A. A. R., & Alkhalaileh, Y. S. F. (2023). Tas'eed al-tanaffus 'ala al-ghaz fi mintaqat sharq al-bahr al-abyad al-mutawassit khilal al-fatra 2011–2021 [Escalation of competition for gas in the Eastern Mediterranean region during the period 2011–2021]. Dirasat: Human and Social Sciences, 50(6), 55–68. https://doi.org/10.35516/hum.v50i6.842

Dalay, G. (2020). Turkey's 'Blue Homeland' Doctrine: A Naval Strategy for the Eastern Mediterranean. German Institute for International and Security Affairs (SWP).

Dalay, G. (2020). Turkey's 'Blue Homeland': A New Assertion of Maritime Sovereignty. Carnegie Endowment for International Peace.

Frantzman, S. J. (2022). US pulls support for EastMed pipeline, ending a Trump-era pipe dream. The Jerusalem Post.

Frantzman, S. J. (2022). US withdrawal of support for EastMed pipeline shakes up Eastern Mediterranean. The Jerusalem Post.

Gurcan, M. (2020). Turkey's 'Blue Homeland' doctrine is no longer a rhetorical flourish. Al-Monitor.

Gurcan, M. (2020). Turkey's Maritime Deal with Libya: A Game Changer in the Eastern Mediterranean. Al-Monitor.

Jervis, R. (1978). Cooperation Under the Security Dilemma. World Politics, 30(2), 167–214.

Mearsheimer, J. J. (2001). The Tragedy of Great Power Politics. W. W. Norton & Company.

Nopens, P. (2013). Geopolitical shifts in the Eastern Mediterranean. Egmont Institute.

Papadopoulos, T. (2018). Energy triangles in the Eastern Mediterranean: A new era of cooperation? Geopolitics, 23(1), 1-25.

Papadopoulos, T. (2018). The EastMed Pipeline Project: A Triumph of Hope over Experience?. ELIAMEP Policy Paper.

Proedrou, F. (2023). A geopolitical account of the Eastern Mediterranean conundrum: sovereignty, balance of power and energy security considerations. Cambridge Review of International Affairs, 36(5), 679-696.

Tanchum, M. (2020). A Dangerous Nexus: Russia's new military presence in Libya and the Eastern Mediterranean. The German Marshall Fund of the United States.

Tanchum, M. (2020). Russia's East Med energy game: Sowing dissension and reaping rewards. Middle East Institute.

Tsafos, N. (2019). The East Med Gas Forum: Regional Cooperation in the Shadow of Geopolitics. Center for Strategic and International Studies (CSIS).

Tsafos, N. (2019). The East Med Gas Forum: What a Difference a Year Makes. Center for Strategic and International Studies (CSIS).

Waltz, K. N. (1979). Theory of International Politics. McGraw-Hill.

Yergin, D. (2012). The Quest: Energy, Security, and the Remaking of the Modern World. Penguin Books.

Yergin, D. (2012). The Quest: Energy, Security, and the Remaking of the Modern World. Penguin Books.